

القيمة التربوية لمحاسبة النفس



في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «أليس الكيِّسين»، والكيِّس هو العاقل، أي أعقل العقلاء «وعمل لما بعد الموت»، باعتبار أن ما بعد الموت هو الذي يمثل المصير الدائم الخالد: إمّا إلى جنة وإمّا إلى نارٍ، «وأحمق الحمقى»، والأحمق هو الذي لا يتحرك على أساس التوازن العقلي، «مَن أتبع نفسه هواه وتمنى على الله الأمان»، يتمنّى بأن يدخله الجنة، من دون أن يؤكد ذلك بالعمل الصالح.

وفي حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»، ومعناه أنّه لا بدّ للإنسان من أن يجلس مع نفسه، كما لو أنّ نفسه هي إنسان آخر يحاسبه في ما عمل كلّ يوم، في حياته الخاصة والعامة، «وزنوها قبل أن توزنوا»، في حساب يوم القيامة. والميزان هو ميزان الأعمال، وهو الذي يؤدّي بالإنسان إلى مصيره سلباً أو إيجاباً عند العرض الأكبر على الله سبحانه وتعالى. ويقول الإمام عليّ (عليه السلام): «حاسبوا أنفسكم بأعمالها، وطالبوها بأداء المفروض عليها» مما أوجبه الله «والأخذ من فنائها لبقائها» يعني الأخذ من الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية «وتزودوا وتأهّبوا قبل أن تبعثوا» حتى يبعث الإنسان وقد حزم أمره، وركّز أوضاعه، ليقرأ كتابه بشكل واثق،

واﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻳﻘﻮﻝ: (ﺍﻗﺮﺁ ﻛﺘﺎﺏﻛَ ﻛﻔﻰ ﺑﯩﻨﻔﻮﺳﻜَ ﺍﻟﻴﻮﻡَ ﻋﻼﻳﻜَ ﺣﺴﻴﺎً) (ﺍﻟﺴﻴﺮﺍﺓ/ 14). ﻭﻓﻰ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﻋﻦ ﺍﻟﺒﻮﺯ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺒﻮﺯ (ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ) ﺃﻳﻀﺎً: «ﺣﺎﺳﺐ ﻧﻔﺴﻜَ ﻟﻨﻔﺴﻜَ، ﻓﻴﻦ ﺑﻴﺮﻫﺎ ﻣﻦ ﺍﻟﻨﻔﺲ ﻟﻬﺎ ﺣﺴﺒﻰ ﺑﻴﺮﻛَ». ﻳﻘﻮﻝ ﺍﻟﺒﻮﺯ (ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ)، ﻳﻦ ﻛﺘﻴﺮﺍً ﻣﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻳﺸﻐﻠﻮﻥ ﺍﻧﻔﺴﻬﻢ ﺑﺤﺴﺎﺏ ﺑﻴﺮﻫﻢ ﻋﻠﻰ ﻣﺎ ﻗﺎﻣﻮﺍ ﺑﻪ ﻭﻣﺎ ﻋﻤﻠﻮﻫﻪ، ﻭﻟﻜﻨﻜﻢ ﻟﺴﺖ ﻣﺴﺆﻭﻻً ﻋﻦ ﺣﺴﺎﺑﺎﺕ ﺑﻴﺮﻛﻢ ﻓﻴﻤﺎ ﻋﻤﻠﻬﻢ! ﻻﻥ ﺑﻴﺮﻛﻢ ﺳﻮﻑ ﻳﻘﻒ ﻏﺪﺍً ﻟﻠﺤﺴﺎﺏ، ﻭﻳﺘﺤﻤﻞ ﻣﺴﺆﻭﻟﻴﻪ ﻛﻞ ﺍﻋﻤﺎﻟﻬﻪ، ﻭﺍﻣﺎ ﺍﻧﺖ، ﻓﻴﻦ ﻛﻢ ﺗﻮﺍﺟﻪ ﺣﺴﺎﺏ ﻧﻔﺴﻜﻢ ﻟﻨﻔﺴﻜﻢ.

ﻭﻫﻜﺬﺍ ﻧﺠﺪ ﺍﻟﻘﻴﻤﻪ ﺍﻟﺘﺮﺑﻮﻳﻪ ﻟﻤﺴﺌﻠﻪ ﺩﺭﺍﺳﻪ ﺍﻟﻨﺘﺎﺋﺞ ﺍﻟﺴﻠﺒﻴﻪ ﺍﻭ ﺍﻟﺒﻮﺯ ﺍﻟﺴﻠﺒﻴﻪ ﻟﻠﻜﻞ ﻣﺎ ﻳﻘﺒﻞ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺒﻮﺯ، ﻭﻣﺎ ﻗﺎﻡ ﺑﻪ ﻣﻦ ﻣﺴﺆﻭﻟﻴﺎﺕ، ﺍﻛﻤﻠﻬﺎ ﺍﻭ ﻗﺼﺮ ﻓﻴﻬﺎ، ﺣﺘﻰ ﻳﻜﺘﺸﻒ ﻣﻦ ﺧﻼﻝ ﺫﻟﻚ ﻧﻘﺎﻁ ﺍﻟﺰﻭﻉ ﻭﻧﻘﺎﻁ ﺍﻟﻘﻮﻩ ﻋﻨﺪﻫﻢ! ﻻﻥ ﺍﻟﺒﻮﺯ ﺍﻟﻨﻔﺴﻴﻪ ﻭﺍﻟﻌﻘﻠﻴﻪ ﻭﺍﻟﺮﻭﺣﻴﻪ ﻭﺍﻟﻌﻤﻠﻴﻪ ﻛﺎﻟﺒﻮﺯ ﺍﻟﺠﺴﺪﻳﻪ، ﻓﻴﻦ ﺍﺳﺘﻄﺎﻉ ﺍﻟﺒﻮﺯ ﺍﻥ ﻳﻜﺘﺸﻒ ﺍﻟﺒﻮﺯ ﻓﻴ ﺑﺪﺍﻳﺘﻪ، ﻓﻴﻦ ﻳﺼﺒﺢ ﻟﺪﻳﻪ ﺍﻟﻘﺪﺭﻩ ﻋﻠﻰ ﻣﻌﺎﻟﺠﺘﻪ ﺑﺸﻜﻞ ﺍﺳﻬﻞ ﻣﻤﺎ ﻟﻮ ﺍﻛﺘﺸﻔﻪ ﺑﻌﺪ ﺍﻥ ﻳﺘﻌﻤﻖ ﻓﻴ ﺍﻟﻨﻔﺲ ﺍﻭ ﻓﻴ ﺍﻟﺠﺴﺪ، ﻻﻥ ﻣﻦ ﺍﻟﺰﻭﻉ ﻣﻦ ﺍﻟﺒﻮﺯ ﺍﻥ ﻳﻌﺎﻟﺠﻪ ﺑﺎﻟﻄﺮﻳﻘﻪ ﺍﻟﺘﻰ ﻳﻤﻜﻦ ﺍﻥ ﻳﺤﺼﻞ ﻣﻦ ﺧﻼﻝﻫﺎ ﺍﻟﻌﺎﻓﻴﻪ ﺍﻭ ﺍﻟﺸﻔﺎﺀ ﻣﻦ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺒﻮﺯ. ﻭﻟﺬﻟﻚ ﺍﻭﻟﻰ ﺍﻟﺒﻮﺯ ﺍﻟﻌﻤﻠﻴﻪ ﺍﻟﺤﺎﺳﺒﻴﻪ ﻭﺍﻟﺪﺭﺍﺳﻪ ﺍﻟﻨﻔﺴﻴﻪ ﺍﻫﺘﻤﺎﻡﺎً ﺑﺎﻟﻐﺎً، ﻟﻜﻰ ﻳﺴﺘﻄﻴﻊ ﺍﻟﺒﻮﺯ ﻣﻌﻬﺎ ﺍﻥ ﻳﻜﺘﺸﻒ ﻧﻘﺎﻁ ﺍﻟﺰﻭﻉ ﻟﻴﺤﻮﻝ ﻟﻬﺎ ﺍﻟﻰ ﻧﻘﺎﻁ ﻗﻮﻩ.